العدد (2089) السنة الثامنة - الأحد (3) نيسان 2011 http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

برعاية مسعود بارزاني رئيس اقليم كردستان معرض الكتاب الدولي السادس في اربيل

"الصحافة العراقية في المنفى".. التوق إلى عراق حر معافى

من الصعوبة بمكان أن يتصدى شخص بمفرده لتوثيق ذاكرة الصحافة العراقية التي صدرت في المنفى خلال أكثر من ثلاثة عقود، فمثل هذه المهمة الشاقة تحتاج إلى جهود مؤسسات رسمية، والى مراكز أبحاث تملك الإمكانيات الضخمة بحيث تستطيع الحصول على المعلومة المطلوبة، وتوظف جيشا من الباحثين لتحقيق الهدف المرتجى، لكن د.فائق بطي، بوصفه أحد ابرز وجوه الصحافة العراقية، أراد أن يقوم بالمهمة بمفرده انطلاقا من حرصه على سمعة الصحافة العراقية، ولشعوره بان هذا جزء من الوفاء لمهنة يدرك هو قبل غيره، مقدار المصاعب والعراقيل التي تعترض سبيل كل من يحاول إصدار مطبوعة، حزبا كان أم شخصا أم جمعية، لاسيما وأننا نتحدث هنا عن تلك الصحافة التي صدرت في المنفى، بمعنى أن المصاعب كانت مضاعفة.

ابراهيم حاج عبدي

والواقع أن بطي الذي نشأ بين رائحة الورق والحبر، منذ طفولته، يملك تجربة واسعة في مجال التوثيق للصحافة العراقية وابرز أعلامها، وأهم محطاتها... وذلك عبر مجموعة من الكتب، أصدرها من قبل، منها: "الصحافة العراقية ـ ميلادها وتطورها"، "قضايا صحفية"، "صحافة العراق ـ تاريخها وكفاح أجيالها"، "أعلام في صحافة العراق"، "الموسوعة الصحفية العراقية"، "الصحافة اليسارية في العراق" وسواها، وهو في كتابه الجديد "الصحافة العراقية في المنفى"، الذي صدر مؤخرا عن دار المدى بدمشق، يواصل التوثيق لصحافة العراق، مستندا إلى خبرته التي اكتسبها، في البدايات، من والده روفائيل بطي صاحب صحيفة "البلاد" التي اشتهرت في العراق إبان العهد الملكي، ومعتمدا، كذلك، على تجاربه الشخصية في ميدان الصحافة العراقية في مراحلها المختلفة.

حين شدد النظام القمعي في العراق قبضته على كل من يخالفه الرأي، بعد تثبيت أركان الحكم، ووصول صدام حسين إلى سدة الرئاسة في نهاية السبعينيات، لم يجد المثقف والفنان والصحفي العراقي من سبيل أمامه سوى الهرب إلى المنافي القريبة والبعيدة، أو التزام الصمت في بلده طالما يملك رأيا مخالفا يدرك مقدار العقوبة التي ستقع عليه لمجرد التفوه به، وهكذا بدأ قطار المنافي بالسير من بغداد متوجها إلى كل محطات العالم في لندن وسدني، وباريس والقاهرة، ودمشق وواشنطن...وغيرها من عواصم العالم ومدنه التي راحت تستقبل أسراب المنفيين العراقيين على مدى أكثر من ثلاثة عقود، الهاربين من بطش النظام، واستبداده، وهم يحملون بين الضلوع حلما أبديا، بمعانقة عراق يتسع لهمومهم وآمالهم، وأفكارهم، وعشقهم...وحين سدت نوافذ الأمل، وملوا الانتظار على أرصفة المطارات والموانئ وأمام أبواب السفارات راح هؤلاء يصوغون ما يعتمل في دواخلهم من القهر والحنين والشوق، بالأغنية والقصيدة واللوحة التشكيلية والمسرح وكذلك بالصحافة التي أذنت بميلاد صحافة عراقية في بلاد الاغتراب، وهو الموضوع الذي يتناوله فائق بطي في كتابه الجديد، "الصحافة العراقية في المنفى".

يرصد الباحث، إذاً، تاريخ الصحافة العراقية التي صدرت في المنافي الكثيرة، والتي شكلت ـ كما يرى الباحث ـ امتدادا لصحف مركزية للأحزاب الوطنية العراقية العربية والكردية، غير أن الغالبية منها نشأت وتطورت في المنفى حتى تجاوزت أعدادها المئات. هذه الصحافة التي رسمت عراقا آخر، متخيلا، بينما كان العراق الواقعي يغوص في أوحال الحروب والغزوات والفقر والقمع، استطاعت أن تؤثر على القراء وأن تكرس، بأبسط الإمكانيات، لتقاليد صحفية مهمة دفعت بطي إلى تدوين مسيرتها كجزء متواصل ومتمم لتاريخ الصحافة العراقية، "خصوصا أن الصحف والمجلات، السياسية منها والفكرية، كانت في مستوى متقدم يفوق تقدمها وتفوقها ذلك الكم الهائل من المطبوعات التي أغرقت أسواق بغداد في فترة زمنية طويلة، والتي لم تكن سوى أبواق لنظام صدام حسين وتمجيدا له ولعائلته، وهي توثق لجرائمه التي صورتها بالامجاد في ظل أعتى حكم بوليسي في التاريخ".

يسعى الباحث في هذا الكتاب إلى تتبع وتقصي مسار تلك الصحافة المنفية، وهو يحاول الإحاطة بكل الجغرافيا الواسعة التي احتضنت هذه الصحافة، الممتدة من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، ورغم صعوبة هذه المهمة غير أن الباحث يعترف بفضل بعض المقربين والأصدقاء والسياسيين والمثقفين الذين واكبوا ميلاد تلك الصحافة، وعملوا فيها، وقدموا تفاصيل للباحث عن كيفية الإصدار، والتوجهات، والتمويل...ومع ذلك يعترف بطي بان هذه الدراسة لا يمكن أن تكون متكاملة وشاملة لصعوبات عديدة، بينها الامتداد الجغرافي الواسع، وقلة المصادر، وغياب بعض أعمدتها من الكتاب والصحفيين، وتعذر الحصول على أعداد من هذه الصحيفة أو تلك... بيد أن الدراسة، رغم ذلك، غطت الكثير من الوقائع، فيما يتعلق بجهات الإصدار، وتحليل مكانة كل مطبوع، وأسباب ديمومة بعض هذه الصحف أو الغياب السريع للبعض الآخر، والدور الذي لعبته في العملية السياسية والثقافية في العراق وصولا إلى سقوط النظام في التاسع من نيسان قبل ثلاث سنوات.

وبغرض الدقة والتبويب المنهجي، يقسم الباحث دراسته إلى أربعة فصول، فيتحدث في الفصل الأول عن "صحافة الأحزاب والكتل السياسية"، وفي الفصل الثاني يقف عند "الصحف والمجلات الثقافية"، بينما يتناول في الفصل الثالث "صحف ومجلات المنظمات والجمعيات والنوادي"، ليختتم الكتاب بفصل عن "الصحافة الخاصة"، ولدى قراءة هذه الفصول مجتمعة، ترتسم أمام أبصارنا لوحة بانورامية شاملة لخارطة الصحافة العراقية في المنفى، بكل نجاحها وعثراتها وألقها.

في الحديث عن صحافة الأحزاب السياسية التي صدرت في المنفى، يستعرض الباحث جانبا من تاريخ الصحافة العراقية ذات التقاليد العريقة، فقد ظهرت أول صحيفة عراقية وهي "الزوراء" عام ١٨٦٩م إثر تعيين الوالي العثماني مدحت باشا واليا على بغداد، ومنذ ذلك التاريخ اجتهدت الصحافة العراقية لان تكون صوتا وطنيا تدافع عن قضايا الشعب العراقي أثناء الانتصارات وكذلك الهزائم، وهي مرت بمحطات مشرقة مثل، الكفاح من أجل الاستقلال، ومواكبة تطورات ثورة العشرين ضد الإنكليز في الفرات، ثم أسهمت في تأسيس الحكم الأهلي، وانبثاق الحياة الحزبية بين الحربين العالميتين، وعقب الحرب العالمية الثانية اشتدت المعارك السياسية على صفحات الصحف بين المعارضة والحكومات المتعاقبة، وقد عاشت الصحافة في هذه المرحلة في أجواء من الحرية النسبية، وكذلك في الخمسينيات في أعقاب تشكيل فاضل الجمالي وزارته الأولى، واستمرت الصحافة تصدر في مناخ تعددي بعد السنوات الأولى لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م.

ويشير الباحث إلى أن الصحافة الكردية، بدورها، نشطت في تلك الأجواء فأصدرت جمعية (هيوا) مجلة شهرية باسم (روزا كرد ـ اليوم الكردي) في العام ١٩١٢م، ومجلة (بانك كرد ـ النداء الكردي) عام ١٩١٤ م، واستمرت هذه المجلة في الصدور بثلاث لغات من عام ١٩٢٢ إلى عام ١٩٢٦ في مدينة السليمانية، وصدرت جريدة (بانكي حق ـ صوت الحق) في كوردستان العراق باسم قيادة الثورة الكردية بقيادة محمود الحفيد آنذاك، ومع انطلاقة الصحافة العراقية بعد انتصار ثورة تموز تمتع الصحفيون الأكراد بحرية مماثلة في إصدار صحفهم الخاصة في بغداد ومدن كردستان العراق مثل صحيفة (رزكاري ـ الاستقلال)، و(نوروز ـ اليوم الجديد)، و(ازادي ـ الحرية)، و(صوت الأكراد)، بينما اصدر الحزب الديمقراطي الكردستاني جريدته المعروفة (خه بات ـ النضال) المستمرة حتى هذه اللحظة مع انقطاعات في فترات معينة تبعا للظروف السياسية.

هذا التاريخ الصحفي الطويل هو الذي مهد الطريق أمام ظهور صحافة المنفى التي بدأت في لندن حيث صدرت أوائل الثمانينيات جريدة "الناصرية" لرئيس تحريرها محمد عبد الحكم دياب، وصدرت كذلك في لندن صحيفة "التيار"، لمدة سنة واحدة، وهي أسبوعية رأس تحريرها سامي فرج علي الذي رأس تحرير صحيفة أخرى هي "المسار"، وفي موازاة ذلك فان الأحزاب السياسية بأطيافها المختلفة: الديمقراطية، الإسلامية، الكردية، القومية العربية، واليسارية الماركسية...استمرت في إصدار صحافتها، ومن اقدم هذه الأحزاب، الحزب الشيوعي العراقي الذي أصدر أول جريدة مركزية سرية له في العام ١٩٣٥ م باسم "كفاح الشعب"، ثم جريدة "الشرارة" وبعدها "القاعدة"، ثم "اتحاد الشعب"، وفي العام ١٩٦٤ اصدر الحزب صحيفة "طريق الشعب"، التي لا تزال تصدر حتى الآن، أما في المنفى فقد أسس الحزب جريدة "عراق الغد" في لندن عام ١٩٨٦م، وقد كتب ناشروها في صدر صفحتها الأولى بأنها "صحيفة وطنية ديمقراطية، من اجل عراق السلام والديمقراطية"، ثم اصدر الحزب عقب مؤتمره الخامس، مطلع التسعينيات، مجلة شهرية باسم "رسالة العراق"، وعندما توصل عدد من الديمقراطيين العراقيين إلى إنشاء التجمع الديمقراطي العراقي في عام ١٩٨٣ برئاسة الشخصية الوطنية الشيوعية صالح دكلة، أصدر التجمع العدد الأول من جريدة "الغد الديمقراطي" في نيسان العام ١٩٨٣م.وفي العام ١٩٩٠ أطلت نشرة إعلامية بعنوان "الديمقراطي" تعلن عن تشكيل تنظيم سياسي جديد باسم اتحاد الديمقراطيين العراقيين، أما حركة الوفاق الوطني فقد أصدرت جريدة "الوفاق" ثم حصل انشقاق داخل الحركة فاصدرت مجموعة صلاح عمر العلي جريدة بنفس الاسم، بينما أصدرت مجموعة أياد علاوي جريدة "بغداد".

ولعل الجريدة الأبرز التي صدرت في المنفى كانت جريدة "المؤتمر" الناطقة باسم المؤتمر الوطني العراقي الموحد الذي تشكل بعد مؤتمر صلاح الدين، مطلع التسعينيات، فضم غالبية الأحزاب والتكتلات والتجمعات السياسية المعارضة، العربية منها والكردية، وصدرت هذه الصحيفة بانتظام، وكانت تعبر عن وجهة نظر المعارضة العراقية الواسعة، وعمل فيها صحفيون وكتاب متمرسون، مما جعلها من الصحف الناجحة، والأوسع انتشارا، واصدر المجلس العراقي الحر برئاسة سعد صالح جبر جريدة "العراق الحر" في أعقاب الغزو العراقي للكويت.

ويستعرض الباحث ظروف الصحافة العراقية التي صدرت في سورية، البلد المجاور للعراق الذي التجأ إليه الآلاف من العراقيين وراحوا يعملون في مجالات مختلفة بينها المجال السياسي والإعلامي، فصدرت صحيفة "نداء الرافدين"، و"الغد الديمقراطي"، و"صوت الجماهير"، واصدر مبدر الويس جريدة "الاشتراكي" الناطقة باسم الحزب الاشتراكي في العراق، أما الحركة الملكية الدستورية التي يترأسها الشريف علي بن الحسن فأصدرت مجلة "الدستورية"، وكان للأكراد الفيليين نشاط لافت في هذا المجال، فاصدروا في لندن صحيفة "نداء الكرد" عام ١٩٩٣م، وصدرت كذلك صحف في إيران أخذت الطابع الإسلامي، مثل "النبأ"، و"الشهيد"، و"الجهاد"، و"الشهادة".. وسواها، وكذلك ظهرت بعض الصحف التركمانية والآشورية في العواصم المختلفة، والواقع أن الخوض في الحديث عن صحافة الأحزاب السياسية تأخذ مسارات متشعبة تبعا للتوجهات السياسية، والانشقاقات، والمصالح..وقد حاول الباحث أن يقدم صورة مختزلة، مع ملامسة سريعة وعابرة للظروف السياسية التي رافقت صدور هذه الصحيفة أو تلك.

وربما كان الوجه المشرق للصحافة العراقية المنفية تمثل في الصحف والمجلات الثقافية التي ابتعدت عن الشأن السياسي المباشر لتتناول واقع الثقافة العراقية وقضاياها، وهمومها، ولتحتضن أقلاماً عراقية لامعة، فكانت "أصوات" أول مجلة فكرية عراقية صدرت في باريس العام ١٩٧٧م، وفي العام ١٩٩٥ اصدر في بيروت الشاعر مدين الموسوي دورية "القصب" الشهرية، واستمرت مجلة "الثقافة الجديدة"، ذات التوجهات اليسارية العريقة، في الصدور، بينما أصدرت رابطة الكتاب والصحفيين والفنانين الديمقراطيين العراقيين في العام ١٩٨٠ مجلة "البديل"، واصدر كل من فاطمة المحسن، وعبد الكريم كاصد، وزهير الجزائري مجلة "نصوص" في صيف العام ١٩٩٤م، وكذلك مجلة "أقواس" التي صدرت في لندن بإشراف فاضل السلطاني، وغيرها من المجلات الثقافية مثل "فراديس"، و"اللحظة الشعرية"، و"قصص"، و"عيون"، و"ألواح"، و"كلمات"، و"جسور"، و"الزاوية"، و"المسلة"، و"النافذة"...وغيرها.

وتعتبر مجلة "المدى" الفصلية التي أصدرتها مؤسسة "المدى" لصاحبها السياسي العراقي المعروف فخري كريم، من المجلات الثقافية الرائدة التي صدرت في الخارج، ويصفها بطي بأنها "من أرقى ما صدر في العربية، ليس في الساحة العراقية، بل وفي الساحة العربية عموما"، حيث ساهم في الكتابة فيها ومنذ العدد الأول الذي صدر مطلع العام ١٩٩٣ م، ابرز المثقفين والمفكرين العرب والكورد، وهي استقطبت بسبب سمعتها الطيبة، وإخراجها الأنيق، وطابعها المهني، وتوجهاتها الثقافية العقلانية المعتدلة، أسماء إبداعية معروفة، كما احتضنت، في الوقت ذاته، أصواتاً أدبية شابة تتلمس طريقها، بخجل، نحو عالم النشر والصحافة، فكانت "المدى" منبرا مفتوحا لنتاجاتها، وتجاربها الأول، وقد كتب الشاعر العراقي سعدي يوسف في أحد أعدادها يقول "أقصى ما تريده (المدى) هو النجاح في إشاعة ثقافة إبداعية، النجاح في نفح هواء نظيف، اعتقد أن هذا المطمح الأقصى جدير بان نناضل في سبيله".

ولا تختلف ظروف صحافة الجمعيات والنوادي والمنتديات العراقية التي أنشئت في المنفى عن ظروف الصحافة العراقية المنفية عموما، فهذه الجمعيات والمنتديات، تطلعت، بدورها، إلى وطن جميل مؤجل، وكانت الأحلام تراود أصحابها، وطالما أن هذه الأحلام عصية على التحقيق في ارض الواقع، فليكن تحقيقها على الورقة البيضاء، وهكذا ظهرت مجلات وصحف كثيرة في المنافي المختلفة منها مجلة "عشتار" التي أصدرتها الجمعية الثقافية العراقية ـ الأسترالية، وفي هولندا صدرت "المنتدى"، و"حمورابي"، و"البيت العراقي"، و"النور"، أما في لندن فقد صدرت مجلة "الضمير"، و"الرسالة".. وغيرها، ولم تغب الجمعيات والنوادي الكردية عن هذا الحراك، فهي من جانبها أصدرت صحافتها، مثل "مجلة الثقافة الكردية"، و"كوردستان"، و"بانكي هه ق"، و"مندالي كورد"، و"هه نكاو"، و"هه له بجه"، و"به ره نك"، و"هاوار"... وغيرها من الدوريات التي احتضنتها البلدان الأوربية التي شهدت تأسيس هذه الجمعيات مثل بريطانيا وألمانيا وهولندا وبلجيكا والسويد والدانمارك.

وظهرت في المنفى كذلك صحف ومجلات خاصة لا تعبر عن وجهة نظر سياسية معينة، وإنما هدفت إلى تكريس ثقافة الحوار، ومن هذه الصحف، صحيفة "الزمان" التي صدرت في لندن عام ١٩٩٧ لصاحبها سعد البزاز، وجريدة "التخطي" التي أصدرها في دمشق احمد المهاجر، و"الشمس" التي صدرت في قبرص ورأس تحريرها حسن العلوي، و"الاتجاه الآخر" التي صدرت في هولندا لصاحبها ورئيس تحريرها مشعان الجبوري، و"المجرشة" وهي أول جريدة هزلية ناقدة تصدر في المنفى، وكذلك ظهرت صحف عراقية خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا مثل جريدة "المشرق"، و"الإصلاح" وسواهما.

صحف ومجلات كثيرة ولدت في المنافي البعيدة، تكبو حينا، وتنهض أحيانا، وهي، ورغم تنوع اتجاهاتها، واهتماماتها، ومشاربها، ومرجعياتها لكنها اشتركت في التوق إلى عراق حر معافى، ولئن تحقق الحلم بسقوط الديكتاتور غير أن حلم العيش الآمن والكريم لا يزال بعيد المنال، وقد عادت اغلب الصحف العراقية المهاجرة إلى الوطن لتبدأ من جديد رحلة البحث عن حلم داعب خيال أصحابها لعقود، ورغم الإرهاب، ورائحة الدماء التي تلف العراق، لكن ثمة آمالا عريضة، وتفاؤلا واسعا يشير إلى أن ما يحدث هو مخاض طبيعي سيفضي إلى عراق جديد، تعددي وديمقراطي.

من اصدارات المدى

الشعر والوجود.. دراسة فلسفية في شعر أدونيس

أدونيس شاعر ذو تجربة عميقة وغنية ، حيث تمتد صلته بكتابة الشعر إلى خمسينيات القرن الماضي ، وقد أثارت هذه التجربة العديد من الإشكاليات ، منها ما هو توفيقي يندرج في إطار العادي والمألوف ، ومنها ما هو فلسفي يعمق أسئلة الشاعر الموجهة إلى الإنسان والعالم ، واذا كان الشعر كما يراه احد الفلاسفة صفوة الفنون ، فان في شعر ادونيس الكثير من الرؤى الفلسفية التي تفسر علاقة أدونيس – الشاعر بالوجود وهموم الإنسان المعاصر .

وفي كتابه (الشعر والوجود) الصادر عن دار المدى يحاول الدكتور عادل ظاهر استنطاق نصوص أدونيس الشعرية من خلال الفلسفة ، حيث أشار إلى ما ذهب إليه هيدجر بان الشعر بصفته شعرا – يمكن ان يقرأ قراءة فلسفية ، مبينا ان هذه القراءة ليست بالأمر السهل

عبد الأمير خليل مراد

حيث تملي القراءة الفلسفية على الباحث الإحاطة بتكوين شخصية أدونيس الشعرية – الفكرية ما هي حدود انتمائه .... وما هي علاقته بالتراث ... وما هي العوامل التي ساهمت في تطوره الشعري والفكري ، وقد أشار الباحث في فصول هذا الكتاب إلى أهم الأسئلة التي تثيرها تجربة أدونيس الشعرية منذ بواكيره الأولى . ففي الفصل الأول قدم د. عادل ظاهر مدخلا موضوعيا إلى عالم ادونيس بوصفه شاعرا ومنظرا يقرأ الحياة والعالم برؤية فلسفية قائمة على أسس عقلية لا يمكن استنطاقها بصورة معزولة عن وهج التجربة ، غير ان هذا الشاعر لا يريد ان يتقمص دور الفيلسوف الذي يتهجى معاناة الإنسان من خلال العقل .

وبين في الفصل الثاني من خلال بحثه (التفلسف شعريا)، إن هذه القراءة الفلسفية لمنجز أدونيس الشعري قد تقابل بالاستهجان ، لان إسقاط الفلسفة على الشعر لم تكن راسخة في الفكر النقدي الغربي ، وقد قوبل هيدجر بقراءته لشعر هولدرن بهذا الاستهجان ، وفي تراثنا العربي هنالك قصائد للمعري وزهير بن أبي سلمى انطوت على الكثير من موثبات الفلسفة وهي لم تقرأ قراءة نقدية فلسفية ، فالفلسفة في الشعر كما يرى تتخذ صورة تحريض القارئ على طرح الأسئلة الفلسفية الصعبة حول العالم والإنسان والحب والقيم . او استنفار صورة حسه الفلسفي النقدي ، وليس تقديم أفكار فلسفية جاهزة او صورة برهان فلسفي .

وبين د. عادل ظاهر بان الشعر ، وبخاصة الشعر العظيم ، قد يثير في القارئ شتى الأسئلة الفلسفية ويدعوه إلى التأمل الفلسفي في هذه المسالة أو تلك ، وقد اعتبر هيدجر الفكر من مكونات الشعر ، وان كان الشاعر حين يفكر لا يكون معنيا بالفكرة نفسها ، بل فقط في التعبير عن المعادل أو النظير الانفعالي .

وفي الفصل الثالث (تماهي الشعر مع فلسفته في تجربة أدونيس) ، بين الباحث بان الفلسفة لم تظهر في شعره من خلال قصيدة أو عمل شعري واحد بل ان هذه الرؤية استغرقت مجمل أعماله الناضجة ، بدءا من كتاب التحولات والهجرة في أقاليم الليل والنهار ، والمسرح والمرايا ، ومفرد بصيغة الجمع ، واحتفاء بالأشياء الغامضة الواضحة ، والكتاب أمس المكان الآن .

وأوضح في تحليلاته لهذه الأعمال بأنها تمثل حالة لتماهي الشعر مع الفلسفة الخاصة ، او حالة لتماهي الشعر مع الميتا – شعر ، وان ما نقرؤه فلسفيا في شعر أدونيس – هو انه ليس بإمكاننا من ان نتبين في العمل الشعري أي تمييز بين الوجود والماهية ، وان ما نراه في هذه الإعمال انه لا وجود لماهية ثابتة ونهائية للشعر ، أي ان ماهيته تكمن في انه بدون ماهية محددة قبليا .

وفي الفصل الرابع (العودة إلى الذات) يدرس الباحث المكونات الجوهرية للذاتية ، وان قصائده تثير في القارئ المثقف فلسفيا ا لعديد من الأفكار حول القيم ، والمعرفة ، والحقيقة ، والعقل ، والاغتراب ، ومركز الإنسان في الكون ، والمكونات الانطلوجية للوجود الإنساني باعتباره وجودا فرديا وذاتيا .

ولعل عودة أدونيس لذاته كما يرى الدكتور ظاهر تمثل بحثه عن اليقين الذي يعجز عن إيجاده خارج الوعي المباشر لذاته ، وانه في هذه العودة إلى الذات يحاول تجاوز المعرفة العقلية ، ومحاولة اكتشاف او حدس ذاته خارج كل نسق عقلي .

وأوضح إن الحالة التي ينتهي إليها شعر أدونيس ، انها حالة للتذوت باعتباره سيرورة مستمرة ، حيث يتحول الشاعر نفسه الى ذات نازعة باستمرار نحو القبض على ذاتها . إنها سيرورة لا تكتمل الا بالموت ، وهذا بدوره ، هو بمثابة تشيئ له ، وتخليه عن نفسه ليتلاشى بصورة تامة في عالم الأشياء ، وكأن هناك مفهوما سابقا على وجوده يحدد معنى كونه هذا الشخص ادونيس ، أي يحدد هويته الثابتة، وما عليه سوى ان يقطع أشواطا معينة خلال حياته ليصل الى تجسيد هذا المفهوم القبلي والتماهي مع ذاته .

وفي الفصل الخامس (التموند واختبار الذات) يشرح المؤلف فردانية عودة أدونيس الى ذاته ومغامراته في بلوغ حالة من الوجود الذاتي ، والانفتاح على الآخرين . حالة التموند (حالة استقلالية خاصة) تجسر بين الاستقلالية والوجود.

وبين الباحث بان سيرورة التذوت تبدأ بالتفردن لتنتهي إلى الانفتاح على العالم ، بدايتها الانشقاق والتموند ونهايتها البث . ولعل ادونيس في ذلك يريد بلوغ حالة لا يعود يأنس (إليه فيها) غير الهواء والحجر ، ولا تعود تسر به غير الأشياء ، وفي عودته إلى الأشياء في ذاتها لمعاينتها وراء التجريد – وراء حدود المفاهمة – يلغي ثنائية الذات – الموضوع ، اذ تولد كما يرى (الشفافية) ويدخل آنذاك في النسيج الكوني ، ولكنه ما إن يقترب من حالة اغترابه على المستوى الكوني ، حتى يجد نفسه في حالة اغتراب أسوأ على المستوى الاجتماعي ، وبذلك يزيد من تعميق الهوة بينه وبين الأخر المعمم ، بينه وبين عالم الـ (هم) ، حيث تصبح لغته عصية أكثر على الفهم ، يصبح (وحش الحقيقة) الذي لا يمكن تدجينه .

وفي الفصل السادس (العودة الى الذات الحرية وتجربة النفي)، يتناول الباحث حالة النفي ولاغتراب في شعر ادونيس ، مبينا فكرة النفي والاغتراب وحدودها وأبعادها السياسية والسيولوجية ، حيث توقف عند أزمة الإنسان المعاصر واغترابه والفشل الذي يعانيه من تحديد معنى الإنسان في ظل الأوضاع الخاصة لعالم اليوم ، مما يلجأ أدونيس الى الترميز واستعمال مفردات الريح ، الحجر، الأنقاض، اللاشيء، اللامعنى، للتعبير عن نزوعه الذي لا يختمه الا بالموت .

وفي الفصل السابع (إرادة الكشف ام ارادة الخلق ؟)، يدرس المؤلف تسمية الأشياء في شعر ادونيس والظواهر التي تدفعه الى استثمار المصادر الصوفية التي تقود الشاعر الى اختيار الحقيقة الوجودية ، حيث أخذت هذه الظواهر تصدر عن توتر حاد بين التوق إلى الخلق والتوق الى الكشف او الإصغاء الى صوت الكينونة .

وأشار د.ظاهر إلى ان انشطار الشاعر بين الرغبة في الانغماس في عالم الفعل، والرغبة في الانغماس في عالم الأسرار والإصغاء إلى (صوت الكينونة) يشكل انشطارا بين معنيين للتعالي ، فالخالق كما يقول يخلق عن طريق اللغة ، بينما الكاشف يتجاوز او على الأقل يحاول ان يتجاوز اللغة . الكاشف يبغي العودة إلى الأشياء ذاتها وهو يريد ان يعكس العلاقة بين الأشياء واللغة . كما يفهمها الفهم العادي ، فلا تعود اللغة منفذها الى الأشياء بل تصبح الأشياء هي منفذها إلى اللغة ، فهل ان الرغبة في رؤية الأشياء ذاتها وراء كل منظور هي بين الدوافع المحركة له ام ان دافعه الوحيد هي الرغبة في إعطاء الأشياء معنى يتجاوز الفهم السائد لها ؟ .

وفي الفصل الثامن (نقد الثقافة السلطوية) ، يتناول المؤلف أخر عمل شعري صدر لادونيس وهو (الكتاب : أمس المكان الآن) ، حيث يقف على الأبعاد والمضامين الفلسفية لتجربة الشاعر في العودة الى الذات وتمجيد إرادة الخلق ، وتوقف على المسالة الأساسية في هذا الكتاب من حيث احتفاله بسجل الأحداث والوقائع الراسبة في تاريخ الثقافة التي تميزت في ابشع صورها بالقمع ، والتسلط ، والاضطهاد ، والعنف الجسدي، وبين ان هذا الكتاب مليء بالحوادث المرعبة والوقائع الغريبة ، والاهم في هذا العمل الشعري هو خلخلة الأسس التي تقوم عليها هذه الثقافة وتقويض مصادرها .

وبين البحث ان السؤال الأساس الذي يعني الشاعر الآن هو كيف يواجه التاريخ بوصفه ميراثا ثقافيا وفكريا يحمل نظرة معينة الى الكون والحياة ، أي بوصفه قراءة مؤدلجة للأحداث والوقائع تعيد إنتاج ذاتها ، بمعنى آخر ، كيف يواجه التاريخ بوصفه نظاما مغلقا على ذاته ، وقد أجاب ادونيس على ذالك السؤال الملغز بأنه الشعر ، حيث تمرد على النظام المعرفي السائد في ثقافة عصره ، وبين ان هاجس أدونيس الأكبر في ذلك الحين كما هو هاجسه في (الكتاب الآن) هو الكشف عن الارتباط الوثيق بين الحقيقة والسلطة في مجتمعه هو وعن الآليات التي تتحكم بهذه العلاقة داخل النظام المعرفي لثقافة عصره .

وفي الفصل التاسع (إرادة الالتباس والاثم الهيراقليطي) ، يرصد المؤلف مفهوم السلطة المعرفية لدى ادونيس ، حيث يؤكد بطلان هذه السلطة في رؤيته الذاتية ، وان قوله (الحقيقة بيت/ ليس فيه مقيم ولا جار من حوله/ ولا زائر) يعكس ما يوحي به هذا المقطع الشعري ، فليس بيننا من يمكنه ان يدعي لنفسه امتيازا معرفيا على أساس انه أوثق صله بالحقيقة من سواه ، وقد اكد امتناع نفاذنا الى الحقيقة في ذاتها ، حتى من حيث المبدأ ، وقد أجاب على ذلك في مقطع شعري غني جدا في ما يستثيره فينا من أسئلة فلسفية (عندما تتوهج فينا الحقيقة / لا نتكلم الا مجازا) ، والسؤال الذي يطرح نفسه الآن ، هو السؤال المتعلق بالمدلول الفلسفي الذي يمكن استخراجه من قوله (عندما تتوهج الحقيقية / لا نتكلم الا مجازا) ، حيث تعد معالجة هذا السؤال هو في استقراء المدلول الفلسفي للمقطع الشعري الأخير في نقد النظام المعرفي السائد في ثقافتنا .

وأشار د. عادل ظاهر الى ان إرادة الالتباس هي سلاح ادونيس في مواجهة إرادة القوة ، وكيف تجلى ذلك في الثقافة السلطوية لعالمه سوى في تسلط الإنسان على الإنسان ولا تمارس سوى باسم الحق والحقيقة المطلقين .

ويرى المؤلف ان ادونيس يحاول ان يشق طريقه وسط الوضوح والتميز المزعومين إلى عالم الغموض والالتباس ، عالم الشك والاحتمال .

وأشار الباحث إلى إن الشاعر يحاول في هذا التوجه ان يضع حدا لتأسيس المفاهيم وان يفجر ينابيع اللغة فلا تعود تخضع علاقتها بالأشياء سوى لمبدأ واحد : سيولة المعنى ، ومن هنا نتلمس شعاره الأساس هو انه لا يمكن الاغتسال في نهر المعنى مرتين ، حيث نفهم لماذا إرادة الالتباس لا تجد تجسيدها الأكمل الا في الآثم الهيراقليطي .